

القرن الثامن حتى اليوم شروحاً عدة يعيينا حصرها هنا ، وشطروها وخسوها وسببها . وقد عارضوها مع ذلك على مدى العصور فقلدوا معانيها الجادة وأبياتها الرائعة ، فكانت سبباً لميلاد خزانة في مديح الرسول عامرة بالكتب والشروح والبيديعات ، وون أشهرها بديعية ابن حمزة الحمويّ وقصائد ابن نباتة المصريّ . وولدت قصص المولد ، تنثر هذه المعاني الدينية وتستعمل صورها ودفرداتها وتتضمن بعض أبياتها .

وهذه القصائد الدينية لا تخرج في مجملها عما نلخص الثعالبي في كتابه « سحر البلاغة وسرّ البراعة » (١) من أقوال البلغاء في ذكر النبيّ حتى عصره قال : « سليل أكرم نبعة ، وقريع أشرف بُقعة ، جاء بأتمته من الظلمات إلى النور ، وأفأء عليهم الظل بعد الحرور ، محمد نبي الله وصفوته ، وخيرته من بريته ، مؤكد دعوته بالتأييد ، ومفرد شريعته بالتأييد . . . » إلى آخر ما أورد هذا الكاتب من صفات تعاورها الشعراء والبلغاء .

ولم يخل القرن الماضي من شعراء امتدحوا النبيّ ، فقد أنشأ محمود سامي البارودي قصيدة دينية سماها : « كشف الغمة في مدح سيد الأمة » جعل فيها سيرة النبيّ من مولده إلى انتقاله ، وسار فيها نظماً كما سار ابن هشام في كتابه عن حياة الرسول نثراً . وهي مثينة التراكيب تذكرنا بشاعر الرسول حسان في معانيها ؛ والقصيدة ميمية كذلك تتحدث عن الغار والعنكبوت والحمامتين في خيال واسع ، ثم تقصّ علينا غزواته وحروبه والأعلام الذين اشتركوا فيها؛ يختتمها بالرجاء والشفاعة والخشوع والخضوع فيقول :

لم يترك الدهر لي ما أستعينُ به على التجمّل إلاّ ساعدي وقمي
هذا يحبّر مدحي في الرسول وذا يتلو على الناس ما أزجيه من كلمي

فقد وضع لسانه وساعده رهناً لمديح النبيّ يتلو على الناس محامده ومزايه

(١) طبعة أحمد عبيد بدمشق سنة ١٣٥٠ هـ - انظر ص ١١ .